تقـــديم

بقـــلم

الدكتور محمد الجوهرى
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع
ووكيل كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

هذا العمل بحث أصيل عن المجتمع الريفى المصرى • لباحث أصيل أثبت فى أعمال سابقه له تمكنا من اتجاهات التنظير وأساليب البحث فى علم الاجتماع المعاصر •

وقد قدم الدكتور احمد زايد عملا سابقا الى المكتبة العربية عن « علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية » وصفته فى تقديمى له بانه حد فاصل بين عهدين فى تاريخ علم الاجتماع المصرى • وقد أثبت المؤلف فى هذا العمل أنه أحسن الاستفادة من الوقفة النظرية التى بلور معالمها فى عمله الأول ، وأن الاسهام الذى قدمه فى ذلك العمل قادر على دعم جهد أصيل فى مجال الدراسة الواقعية للمجتمع المصرى • لذلك اقول اذا كان العمل الأول للدكتور احمد زايد يمثل علامة بارزة فى تاريخ حركة التنظير الاجتماعية المصرية ، فان العمل الثانى لنفس المؤلف ، والذى أقدمه هنا ، يمثل علامة منهجية بارزة فى تاريخ الدراسات الاجتماعية المصرية •

وقد انطلق المؤلف فى دراسته التى بين أيدينا من فكرة هامة غاية الأهمية ، ولكنها واضحة وبسيطة كل الوضوح والبساطة وهى : أن الأطر النظرية التى تطورت فى المجتمعات الغربية قد تعرضت لنقد ، ومرت بأزمات ، فى نفس المجتمعات التى ظهرت فيها ، بسبب قصورها عن التعبير عن واقع

هذه المجتمعات • وعلى ذلك « فليس من المنطقى ابدا أن ينكفىء الباحثون فى علم الاجتماع فى العالم الثالث على هذه النظريات ويجترونها اجترارا دون أن يحاولوا تطوير مفاهيم خاصة عن مجتمعاتهم » •

وهذا التحرر النظرى من اسار النظريات الغربية ، يمكن الباحث الاجتماعى فى بلد نام أن يأخذ من التراث السابق عليه ما فيه ، واضعا دائما نصب عينيه واقع المجتمع الذى يعيش فيه • واذا افلح فى تحقيق هذا فانه سوف يستطيع أن يضع يده على المشكلات والقضايا الاجتماعية الحقيقية الجديرة بالدراسة • ثم سوف يستطيع بعد ذلك أن يصمم لنفسه ادوات البحث الملائمة لدراسة هذه الموضوعات والحصول على أفضل النتائج • وهذا هو ما فعله بالضبط الدكتور احمد زايد فى الدراسة التى بين أيدينا •

لقد اخترق ـ بفضل عمله الأول ـ الحصار الذى فرضه عليه الفكر الغربى فى علم الاجتماع • ولذلك أصبح قادرا على أن ينطلق فى دراسته من واقع مجتمعه المصرى وليس من اطار نظرى غريب عنه • وعندما فتش عن سوابق لهذا الاتجاه ، خوفا من أن يكون مبتدعا بدعة جديدة لم يسبقه اليها أحد ، وجد نظيرا لهذه الفكرة وسوابق لهذا الأسلوب عند غيره من علماء الاجتماع فى بعض بلاد العالم الثالث • « فاهم علماء الاجتماع الذين يلتزمون بقضايا العالم الثالث وتحريره ـ ومعظمهم من أبناء تلك البلاد النامية ـ يحاولون دراسة مجتمعات هذا الجزء من العالم دون التزام مسبق باى نماذج نظرية تطورت بعيدا عن تاريخه • وهم يذهبون فى ذلك مذهبين يكمل كل منهما الآخر : فهم يحاولون ـ من ناحية ـ نقد مفاهيم ونظريات علم الاجتماع الغربى ، ويحاولون ـ من ناحية أخرى ـ تطوير بعض المفاهيم والقضايا التى يمكن أن تقدم رؤية واقعية أصيلة لهذه المجتمعات » •

وهكذا انطلق الباحث من فكرة الخصوصية التاريخية للواقع الاجتماعى المصرى ، لكى يختار احدى المشاكل الحيوية التى تمد ظلالها الى كافة جوانب

هذا الواقع فى القرية المصرية • فالفلاحون المصريون هم عماد المجتمع المصرى ، وهم آباء واخوة سكان الحضر ، هم باختصار كل مصر • فالتوجه اليهم بالدراسة توجه مصرى أصيل • ثم أن البعد السياسى لحياة القرية المصرية هو البعد الحاكم والموجه ، وجماعات الصفوة بنوعيها القديم والجديد هى التى تتحكم فى هذا البعد السياسى ، فتتحكم بذلك فى حياة القرية المصرية • والتفاعل بين جماعات الصفوة القديمة وجماعات الصفوة الجديدة هو فى حقيقة الأمر مجرى عملية التغير الاجتماعى ، وانعكاس لملامح البناء الطبقى فى المجتمع الريفى •

وكان على الباحث أن يطور لنفسه اطارا نظريا ، ثم يطور بعد ذلك الأدوات المنهجية الكفيلة بالوصول به الى الهدف المنشود • من أجل هذا كان عليه ان يتصدى بالتحليل لمفهوم الصفوة وبناء القوة فى الفكر الغربى، ثم فى التراث النظرى الخاص ببلاد العالم الثالث (سواء من تاليف الغربيين او ابناء تلك البلاد) • وكان هدفه من وراء ذلك العرض النقدى التحليلى أن تساعده على تكوين رؤية عن خصوصية التطور الاجتماعى فى المجتمع المصرى ، وهى المنطلق النظرى للدراسة التى بين أيدينا •

ولذلك كانت الخطوة المنطقية التالية أن ينتهى المؤلف الى محاولة صياغة نموذج نظرى لدراسة المجتمع المصرى من واقع خصوصيته التاريخية • • ولقد اشتمل هذا النموذج على المكونات الأساسية للبناء الاجتماعى ، وعلى العلاقات بين هذه المكونات فى ضوء خصوصية تطوره • ولقد قام النموذج النظرى على تحديد العلاقات بين عناصر خمسة هى : اشكال النشاط الاقتصادى ، والجماعات الطبقية ، وأنماط القيم ، وأنماط الأيديولوجيات ، واخيرا البناء السياسى » ومن هذا النموذج اشتق الباحث فروضه الأساسية، التى اتجهت الدراسة الى التحقق منها •

ذلك هو عنصر التجديد الأول وموطن القوة الأول فى هذه الدراسة ،

وأعنى به نقد التراث من أجل تكوين رؤية أصيلة ، ومنطلق نظرى قائم على رؤية الواقع والالتزام به والتوجه اليه ٠

أما عنصر التجديد الثانى وموطن القوة الأهم فى هذه الدراسة فيتمثل – فى رأيى – فى جانبها المنهجى ، فيما سلكته من سبل وما اصطنعته من أدوات لجمع المادة الامبيريقية عن موضوعها ٠ لقد زاوجت هذه الدراسة على نحو أصيل – وغير مسبوق – بين البحث التاريخى والبحث الميدانى والاعتماد على التوثيق من مصادره ٠ ووجه الأصالة أن البحوث السابقة القريبة فى طبيعتها من هذه الدراسة كانت اما تنحو منحى تاريخيا ، فتعتمد على كتب التاريخ والوثائق وغيرها من مصادر المادة التاريخية ٠ أو تقتصر على جمع بيانات من كل أو بعض أفراد مجتمع البحث ، بواسطة استمارة لستبيان أو دليل مقابل ، أو تنحو منحى انثروبولوجيا خالصا بالاقتصار على ملاحظة السلوك الاجتماعى والعناصر الثقافية فى المجتمع المدروس ، وتسجيل عناصر الموضوع وتقديم بعض التحليلات على أساسها ٠

أما البحث الذى بين أيدينا فقد سلك المنهج التاريخى فى جمع المادة عن موضوع بحثه ، واحاط فى هذا بكل المصادر الممكنة التى يمكن أن تعين على تقديم مادة تاريخية ٠ فرجع الى الكتب الأساسية لتاريخ مصر الحديثة ، سواء العامة منها أو المتخصصة ٠ ورجع الى الوثائق المتصلة بالموضوع والمحفوظة بدار الوثائق القومية ٠ واستكمل المعلومات التاريخية بالرجوع الى الاخباريين كبار السن فى مجتمعه ٠ ولا أجافى الحقيقة اذا قلت ان الدراسة التاريخية المقدمة فى هذا البحث تمثل نموذجا ممتازا للدراسة الاجتماعية التاريخية ، لانجد له نظيرا فى الكتابات السوسيولوجية العربية ٠

والى جانب هذا المنحى التاريخى السابق تجشم الباحث مشقة النزول الى الميدان وجمع المادة عن التطورات الحديثة والمعاصرة فى موضوعه من قرى معينة اختارها وفق قواعد ومحكات دقيقة ٠ واستطيع القول بأن الدكتور احمد زايد قد أبدى تفوقا رائعا فى الأساليب التى استخدمها لجمع المادة الامبيريقية

عن مجتمعات بحثه • فقد نفذ الى حياة الناس ، وكون صورة دقيقة عن ديناميات البناء السياسى ، وعلاقات التفاعل بين جماعات الصفوة القديمة والجديدة فى تلك القرى • وقد اعتمد فى جمع تلك المادة على أساليب الملاحظة، والمقابلات المفتوحة ، ودراسة الحالة ، والاستعانة بالاخباريين ، واستخدام دليل لجمع معلومات محددة فى صورة صحيفة بيانات أساسية ، وفحص السجلات الرسمية • وفى خلال ذلك أبدى المؤلف مهارة فائقة وبراعة فريدة فى ان يعايش الناس فى مشاكلهم اليومية ومشكلاتهم وحقيقة اتجاهاتهم ازاء بعضهم وازاء مجتمعهم وازاء مجتمعهم القومى الكبير • لقد شارك فى حضور جلسات الجمعية الزراعية ، وحملات انتخابات المجالس المحلية ، وشارك فى المجالس العرفية ، واجرى مقابلات فردية وجماعية ، وقدم نماذج ممتازة لحالات درسها دراسة متعمقة أجاد فيها استخدام أدوات البحث المتاحة كافة •

بالاختصار كان الباحث فى الجهد الذى بذله لجمع مادته الامبيريقية على اعلى درجة من الكفاءة فى استخدام اساليب البحث السوسيولوجى ، ومهارات البحث الانثروبولوجى • لقد مكنه من تحقيق هذه المزاوجة الفذة براعة ظاهرة فى هضم واستيعاب تراث علم الاجتماع ، وخبرة واسعة فى ممارسة البحث الانثروبولوجى لا تتحقق الا لصاحب موهبة حقيقية •

لذلك أعتقد انى لم أجانب الحقيقة عندما زعمت فى صدر هذا التقديم ان العمل الذى بين أيدينا يمثل علامة منهجية بارزة فى تاريخ الدراسات الاجتماعية المصرية • وانه لتملؤنا الثقة فى ان صاحبها قادر ـ باذن الله ـ على مواصلة العطاء ومتابعة الجهد المخلص من اجل رفعة هذا العلم ، الذى ينتمى اليه بحكم عمله ، ومن اجل خير المصريين الكادحين الذين ينتمى اليهم بحكم التزامه الوطنى التقدمى الأصيل •

القاهرة فى أول يوليو ١٩٨١ — محمد الجوهرى

اختصارات المجلات العلمية الواردة فى الكتاب

A.A.	:	American Anthropologist.
A.J.S.	:	American Journal of Sociology,
Af.S.R.	:	African Social Research,
A.P.S.R.	:	The American Social Science Review.
A.S.R.	:	American Sociological Review.
B.J.S.	:	British Journal of Sociology.
B.S.	:	Behavioral Sciences.
C.S.S.H.	:	Comparative Studies in Society and Hictory.
E.S.	:	Economy and Society.
I.J.M.E.S.	:	International Journal of Middle East Studies.
I.S.S.J.	:	International Social Sciences Journal,
J.M.A.S.	:	Journal of Modern African Studies.
J.P.S.	:	Journal of Peasant Studies.
M.E.J.	:	The Middle East Journal.
N.L.R.	:	New Left Review,
P.S.	:	Political Studies.
S.E.S.	:	Social and Economic Studies.
W.D.	:	World Development.

فى منهجية الدراسة وأقسامها الرئيسية

فصـــل تمهيدى

ظهرت فكرة هذه الدراسة من خلال الاهتمام بواقع المجتمع المصـــرى بعامة ، والمجتمع الريفى بصفة خاصة • فبعد أن أنجزت دراستى للماجستير عن « الاتجاهات النقدية فى علم الاجتماع الغربى » (١) ، تكون لدى الاعتقاد بأنه لا يمكن ــ ولا يجب ــ أن نطبق الأطر النظرية التى تطورت فى المجتمعات الأخرى تطبيقا ميكانيكيا على مجتمعنا المصرى • وكان المنطق وراء هذا الاعتقاد بسيطا للغاية : اذا كانت هذه الأطر النظرية تتعرض للنقد وتمر بأزمة فى نفس المجتمعات التى ظهرت فيها بسبب قصورها عن التعبير عن واقع هذه المجتمعات وطموحات مواطنيها ، فليس من المنطقى أن ينكفىء عليها الباحثون فى علم الاجتماع فى العالم الثالث ويجترونها اجتـــرارا دون أن يحاولوا تطوير مفاهيم خاصة عن مجتمعاتهم • وقد دفعنى ذلك الى استطلاع تراث علم الاجتماع فى العالم الثالث فوجدت أن ما أفكر فيه موجود بالفعل عند غيرى • فأهم علماء الاجتماع الذين يلتزمون بقضـــايا العالم الثالث وتحريره ــ ومعظمهم من أبناء تلك البلاد النامية ــ يحاولون دراسة مجتمعات هذا الجزء من العالم دون التزام مسبق بأى نماذج نظرية تطورت بعيـــدا عن تاريخه • وهم يذهبون فى ذلك مذهبين يكمل كل منهما الآخـــر : فهم يحاولون ــ من ناحية ــ نقد مفاهيم ونظريات علم الاجتماع الغربى ، ويحاولون ــ من ناحية أخرى ــ تطوير بعض المفاهيم والقضايا التى يمكن أن تقدم رؤية واقعية أصيلة لهذه المجتمعات •

وأكثر من هذا ، فقد وجدت أن هذا الاهتمام قائم بيننا وعند أساتذتى

---

(١) نشرت هذه الدراسة بعنوان : علم الاجتمـــاع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ •

من « جماعة علم الاجتماع المعاصر » • فالدكتور محمد الجوهرى ينقد نظرية الطبقة كما تطورت فى تراث العلم ، ويدعو الى الانطلاق فى دراسة الواقع المصرى فى ضوء الخصوصية التاريخية لهذا المجتمع • ويهتم الدكتور السيد الحسينى بنظرية التبعية ، ويلفت النظر الى الاهتمام بأعمال جندرفرانك G. Frank وقد كان ذلك دافعا لى لكى أكمل المهمة التى بدأتها فى دراستى السابقة ، بأن اتجه الى دراسة واقع المجتمع المصرى دراسة لا تغنينى عن مزيد من النقد للرؤية الغربية لمجتمعنا ضمن مجتمعات العالم الثالث •

ولكن أى مجال أختار ؟ استعرضت بعض الدراسات الامبيريقية التى أجريت فى مصر ، فوجدت أن الكثير منها يهتم بالقرية وبموضوعات خاصة مثل « التغير الاجتماعى » و « التنمية الاجتماعية » • ووجدت أن معظم هذه الدراسات تسير فى خط لا يخدم ـ كثيرا ـ الغاية المنشودة من وراء مثل هذه الدراسات • فهى من ناحية مشتتة لا تمثل تراكما علميا يمكن من خلاله استخلاص شىء ذى بال عن المجتمع الريفى • وهى من ناحية أخرى تقع فى براثن التطبيق الميكانيكى للنظريات التى ظهرت فى مجتمعات مغايرة دون أى وعى بخصوصية المجتمع المصرى ، وهو أمر أســـهم فى مزيد من تشتتها وتنافرها • ولقد كان هذا دافعا لاختيار مجال المجتمع الريفى فى مصر حيث يمكن من خلال دراسة أحد الموضوعات المتعلقة بهذا المجتمع أن أقدم اسهاما فى ضوء فكرة الخصـــوصية التاريخية يمثل بداية للتراكم الامبيريقى حول هذا الموضوع • ولسنا بحاجة هنا الى تأكيد أهمية دراسة المجتمع الريفى بخاصة ، فدراسته تقدم لنا من الناحية النظرية صورة عامة عن الانسان المصرى ، وتلفت النظر من الناحية التطبيقية الى جوهر التخلف الذى يرزح تحته الانسان الذى يعيش فى هذا المجتمع •

ولقد كان موضوع البناء السياسى فى المجتمع الريفى من الموضوعات التى استرعت انتباهى منذ الوهلة الأولى • واكاد أجزم بالقول بأن دراسة البناء السياسى للمجتمع الريفى تمثل مدخلا ملائما لفهم البناء الاجتماعى داخل هذا المجتمع • فدارس البناء السياسى لا يمكن أن يغفل علاقة الجماعات السياسية وما تتمتع به من قوة بالمناشط الاقتصادية المختلفة ، وبالجماعات الطبقية ، والأطر الثقافية • وفضلا عن هذا فان تحليل البناء السياسى فى

الريف يمكننا من رؤية طبيعة العلاقة بين المجتمعات الريفية والبناء الاجتماعى ككل ، كما يمكننا من تحليل جوهر العلاقة بين بناء القوة على المستوى القومى وبناء القوة على المستوى المحلى والطبيعة المتغيرة لهذه العلاقة ٠

ويلاحظ القارىء لهذه الدراسة أنها لا تتحدث عن البناء السياسى بشكل مباشر ، وانما تتخذ من جماعات الصفوة مدخلا نحو فهم هذا البناء ٠ فتحليل بناء جماعات الصفوة ، والعلاقات بين هذه الجماعات من ناحية وبينها وبين السلطة المركزية من ناحية أخرى ، ودراسة الثبات أو التحـــول فى تركيب جماعات الصفوة وفى مواقف هذه الجماعات ، كل ذلك اتاح لنا الفرصة لكى نعالج البناء السياسى فى المجتمع الريفى بمافيـــه من تنظيمات سياسية وعلاقات سياسية ، وما يحتوى عليه من اشكال للممارسة السياسية ، وما يربطه من علاقات مع بنية المجتمع الاساسية والجماعات الطبقية التى تفرزها والاشكال الثقافية والايديولوجية التى تغلف البناء برمته ٠ بل أن مثل هذا التحليل قد هيأ الفرصة للحديث عن المجتمع المصرى بصفة عامة كما سيلاحظ القارىء على طول صفحات هذا الكتاب ٠

ولنحاول الآن أن نتعرف على الخط المنهجى الذى سارت فيه الدراسة ٠ ونجيب هنا على مجموعة من الأسئلة المحددة : كيف تمت صياغة الاطار النظرى والفروض ؟ وكيف تم اختيار الاجراءات المنهجية الخاصة بمصـــــادر المادة الامبيريقية وجمعها وتحليلها ؟ وما هى أساليب التحليل والتفسير التى أخذت بها هذه الدراسة ؟ وبصفة عامة كيف تغلبت على الصعوبات المنهجية التى اعترضتها ؟ سوف أحاول فيما تبقى من هذا الفصل ان أجيب على هذه الأسئلة ، محاولا الاشارة الى ما احتوته الدراسة من مادة نظرية وامبيريقية من خلال الاشارة الى ابواب الدراسة وفصولها ٠

اولا : صياغة الاطار النظرى والفروض :

فى محاولة التوصل الى رؤية نظرية يمكن أن تشتق منها بعض الفروض لدراسة جماعات الصفوة فى السياق التاريخى والمعاصر للمجتمع المصرى ، كان على أن أدخل فى حوار نقدى مع الاتجاهات النظرية السابقة التى حاولت أن تنظر لمجتمعات العالم الثالث بعامة وللجماعات السياسية فيها بخاصة ٠

ولكن قبل الدخول فى هذا الحوار النقدى ، تم التعرف على المناقشات النظرية التى دارت حول مفهومى الصفوة وبناء القوة فى المجتمعات الغربية • حيث اتضح ـ كما يكشف عن ذلك الفصل الأول ـ أن مفهوم الصفوة قد أصبح مفهوما محوريا فى تحليل السلوك السياسى وبناء القوة عند الاتجاهات المختلفة على تناقضها • غير أن محورية مفهوم الصفوة لاتعنى التسليم بأى اتجاه من هذه الاتجاهات ، الفهم بعض المفاهيم التى يمكن أن تفيدنا فى خصوصية المجتمع المصرى •

وكان من الطبيعى بعد ذلك أن ينتقل التحليل الى نطاق العالم الثالث ، حيث تم فحص التراث النظرى المتعلق بفهم البناء الاجتماعى السياسى لمجتمعات هذا العالم ، والفهم الذى قدمه هذا التراث لجماعات الصفوة سواء فى مستواها القومى أو مستواها المحلى ، فضلا عن نماذج من الدراسات الامبيريقية التى أجريت فى مجتمعات قروية حول موضوع الصفوة بالذات • ولقد تم التعرف على ثلاثة اتجاهات أساسية فى هذا التراث عرضت على التوالى فى الفصول : الثانى والثالث والرابع من الباب الأول • ولم يكن عرض هذه الاتجاهات هدفا فى حد ذاته ، وانما كان وسيلة توصلنا الى غاية محدده هى المساعدة فى تكوين رؤية عن خصوصية التطور الاجتماعى فى المجتمع المصرى ، وهى غاية تتحقق اذا ما تمت المقابلة بين هذه الاتجاهات وبين ما نراه واقعا أو تاريخا فى المجتمع المصرى • وبناء على ذلك فان عرض هذه الاتجاهات تم من وجهة نظر نقدية حيث كان يستتبع عرض اى منها نقد لقضاياه الأساسية بحيث يظهر مدى ملاءمة هذه القضايا لدراسة الواقع المصرى • ومن ناحية أخرى فان عرض هذه الاتجاهات النظرية قد سار وفق أسلوب معين • فلم يكن الهدف هو التعرف على الرؤية الجزئية الخاصة بالمجتمع الريفى من وجهة نظر هذه الاتجاهات ، بقدر ما كان التعرف على رؤية هذا الجزء فى ضوء الاطار الكلى للمجتمع • ولهذا فان عرض أى اتجاه كان يبدأ دائما بالقاء الضوء على جذوره الفكرية ، ثم على قضاياه الأساسية فيما يتعلق بالبناء الاجتماعى السياسى بعامة ، ثم على نماذج من البحوث الامبيريقية التى أجريت على جماعات الصفوة فى الريف فى ضوء كل اتجاه من هذه الاتجاهات ، ويستتبع ذلك عرض نقدى لكل منها •

ولا شك أن هذا العرض النقدى لهذه الاتجاهات النظرية قد عمق عملية السعى نحو صياغة الرؤية النظرية التى انطلقت منها هذه الدراسة • ويمكن أن نحصر الفائدة التى جنيناها من وراء عرض هذه الاتجاهات فى ثلاث زوايا أساسية : الأولى أنها قد لفتت النظر الى المحاور الأساسية التى يمكن أن يدور حولها التحليل ، ومجالات الاهتمام التى يجب أن يشتمل عليها مثل هذا التحليل • الثانية : أنها أكدت أهمية تحليل الجماعات السياسية فى الريف فى ضوء منظور عام للمجتمع ككل ، بحيث لا يمكن دراسة الجزء الا فى ضوء الكل خاصة فى المجتمعات المتخلفة التى لاتتمتع فيها المجتمعات المحلية باستقلال تام فى سياستها ومواردها • الثالثة : أنها قدمت لنا بعض المفهومات المفيدة فى تحليل بناء الصفوة والتفاعلات بين جماعاتها ، وهى مفهومات يمكن أن تستخدم بصرف النظر عن الالتزام بالاطار النظرى الذى تطورت فيه •

اذا كانت النتيجة الآن هى أنه لا يمكن دراسة جماعات الصفوة فى الريف بمعزل عن الاطار القومى الشامل ، الذى يتأثر بدوره بالاطار العالمى ، فان تطوير فروض نابعة من فكرة الخصوصية التاريخية للمجتمع يجب أن يرتبط برؤية نظرية عامة للمجتمع ككل ، كما يجب أن يرتبط بفهم لخصوصية المجتمع لاينكر أوجه التشابه بين المجتمعات المتشابهة فى الخبرة التاريخية ، ولا ينكر التأثيرات العالمية ـ مهما كانت ثانويتها ـ على بناء هذه المجتمعات (٢) • ولقد أدى ذلك بنا الى محاولة تأصيل فكرة الخصوصية التاريخية كما تطورت فى التراث النظرى ، ومحاولة تجميع نقاط البداية التى ظهرت من خلال دراسات بعض الباحثين المصريين الذين انطلقوا من هذا الفهم فى رؤيتهم للمجتمع المصرى • ومن خيوط البداية هذه بذلت محاولة لصياغة نموذج نظرى لدراسة المجتمع المصرى من واقع خصوصيته التاريخية•

---

(٢) لايعنى التسليم بالتأثيرات العالمية القول بتحليل العالم كنسق كلى أو وحدة واحدة كما تذهب نظرية التبعية ، وانما يعنى الاهتمام بالبناء الداخلى فى المحل الأول مع افتراض تأثر هذا البناء بشكل أو بآخر بالمؤثرات الخارجية •

ولقد اشتمل هذا النموذج على المكونات الأساسية للبناء الاجتماعى ، وللعلاقات بين هذه المكونات فى ضوء خصوصية تطوره • ولقد قام النموذج النظرى على تحديد العلاقات بين عناصر خمسة : أشكال النشاط الاقتصادى، والجماعات الطبقية ، وأنماط القيم ، وأنماط الأيديولوجيات ، وأخيرا البناء السياسى • ولا تعتبر صياغة النموذج على هذا النحو هدفا فى حد ذاته ، وانما يمثل جهدا تحليليا عقليا ، « يتيح لنا أن نحدد نظريا •• كل المتغيرات الممكنة •• حتى نتوصل فيما بعد الى تحديد أى هذه الاحتمالات العقلية أكثر اتفاقا وظروف المجتمع » (٣) • ومع ذلك فلا يعتبر هذا النموذج ـ على الأقل ذلك الذى قدمناه فى هذه الدراسة ـ عملا عقليا خالصا ، بمعنى أنه ليس صياغة عقلية قبليه aprori بحتة • فاذا كانت عناصر النموذج تبنى من خلال جهد نقدى لكل النظريات السابقة ، فان هذا النقد لايتم بعيدا عن دراسة تاريخ المجتمع وقراءة أكبر عدد ممكن من الدراسات التى وصفت هذا الواقع بشكل أو بآخر • وهذا أمر ضرورى بالنسبة لأى نموذج نظرى يحاول تحليل الواقع فى ضوء فكرة الخصوصية التاريخية • والمنطق وراء ذلك بسيط للغاية : فنقد النظرية التى تحاول أن تفسر الواقع لا ينفصل عن الوعى بالوجود التاريخى والمعاصر لهذا الواقع ، كما أن هذا الوعى قد يدفعنا أصلا الى نقد النظرية التى تفسره • العلاقة اذن بين الفكر والواقع هى علاقة جدلية لا انفصام فيها •

ولقد ساعدنا هذا النموذج على أن نشتق مجموعة من القضايا الافتراضية الخاصة بالمجتمع الريفى بعامة ، وعلاقته بالمجتمع القومى • وفى ضوء هذه القضايا تمت صياغة مجموعة من الفروض تتصل بشكل مباشر بتركيب جماعات الصفوة فى الريف ، وبالعلاقات الرأسية والأفقية التى تنشأ بينها ، وبالتحويل الذى يطرأ على تركيبها ومواقفها • وبهذا استطاع الباحث أن يحدد

---

(٣) محمد الجوهرى ، « علم الاجتماع بين الامبيريقية والتنظير » فى : محمد الجوهرى وعبد الله الخريجى ، **مناهج البحث العلمى** ، الجزء الثانى **طرق البحث الاجتماعى** ، الطبعة الثانية ، دار الشروق ، جدة ، ١٩٨٠ ، ص ٤٩ •

ـ بشكل يبدو لائقا من الناحية المنطقية ـ اطاره النظرى فى ضوء الخصوصية التاريخية للمجتمع المصرى ، ومن ثم الفروض التى تسعى الدراسة الى اختيارها فيما يتعلق بجماعات الصفوة فى الريف • فهذا النموذج النظرى لا يلتزم مسبقا بأى صياغات نظرية قبلية ، وانما يحاول أن يربط بين مفاهيم متعددة ربما تنتمى لنظريات مختلفة ، ربطا جديدا ، بحيث لا تتحدد العلاقات بين هذه المفاهيم الا فى ضوء ما نعتقد أنه يميز الخبرة التاريخية والمعاصرة المميزة للمجتمع المصرى • ولقد تم تقديم التحليلات الخاصة بالخصوصية التاريخية والنموذج النظرى والقضايا والفروض المشتقة منه فى الفصل الخامس من هذه الدراسة •

ثانيا : مصادر المادة الامبيريقية :

لا يمكن دراسة البناء السياسى فى الريف من خلال جماعات الصفوة فى ضوء الالتزام بمبدأ الخصوصية التاريخية دون دراسة السياق التاريخى لوجود هذه الجماعات وتفاعلاتها • ولذلك فقد سعت هذه الدراسة نحو جمع مادة امبيريقية من مصدرين : مصدر تاريخى وآخر ميدانى ، بحيث يقدم المصدر التاريخى تطور وجود هذه الجماعات والتفاعلات التاريخية التى ظهرت فيما بينها من ناحية وفيما بينها وبين السلطة المركزية من ناحية أخرى ، ويقدم المصدر الميدانى الصورة المعاصرة لهذا الوجود وهذه التفاعلات • وسوف أقدم فيما يلى فكرة عامة عن هذين المصدرين •

(أ) المصدر التاريخى : حددت الفترة من بداية تاريخ مصر الحديثة (بداية حكم محمد على) وحتى بعد قيام ثورة يوليو على أنها الوعاء التاريخى الذى تشكل فيه تركيب الصفوة القديمة والجديدة ، ولقد واجهت هنا صعوبة حقيقية • فلم تكن هناك مادة متاحة يمكن من خلالها الكشف عن التفاعلات بين جماعات الصفوة ، وكان على أن أجهز هذه المادة • ولم أجد فى الدراسات السوسيولوجية التى حاولت أن تستخدم المعطيات التاريخية مادة كافية تغنى عن البحث عن مزيد من المعطيات خاصة وأن هذه الدراسات قد اهتمت فى المحل الأول بتطور الملكية الزراعية فى علاقتها بالتركيب الطبقى ، وهى فى معظمها تعتمد على مصادر ثانوية هى نفس المصادر تقريبا فى كل دراسة الى درجة أن أيا منها هو تكرار للأخريات •

وبناء على ذلك قد حاولت هذه الدراسة الا تخرج تكرارا لنفس الدراسات السابقة التى اعتمدت على المعطيات التاريخية كمصدر أمبريقى ، والاتعتمد فقط على المصادر الثانوية • فقد تمكنت خلال شهور من العمل المتواصل فى دار الوثائق القومية أن أعثر على كم من المادة الاصلية التى ساعدتنى كثيرا على اختبار الفروض • كما اننى اعتمدت على كبار السن من الاخباريين فى القرية للحصول على بيانات تتعلق بظروف مجتمع ما قبل ١٩٥٢• وفى ضوء هذا فان المادة التاريخية قد أخذت من ثلاثة مصادر :

١ ـ **المصادر الثانوية** التى تتمثل فى الكتب الاساسية لتاريخ مصر الحديثة • وهى كتب عديدة تنقسم الى قسمين رئيسيين : كتب موسوعية كتبها مؤرخون عاصروا الفترات التى كتبوا عنها وأهمها كتاب الجبرتى ، وموسوعة على مبارك المعروفة « بالخطط » وكتب عبد الرحمن الرافعى • دراسات تاريخية فى موضوعات معينة وبعض هذه الدراسات كتبه متخصصون فى التاريخ وبعضها الآخر كتبه متخصصون فى علم السياسة أو علم الاجتماع •

٢ ـ **المصادر الأصلية** وتشتمل هذه المصادر على مجموعة الوثائق التى اطلعت عليها فى دار الوثائق القومية • وتضم هذه المجموعة وثائق عن الفلاح المصرى وعن الأرض والدايرة السنية والرى وكلها محفوظة بمجموعة « محافظ الأبحاث » بالدار ، كما تضم وثائق عن الأحزاب السياسية ، وعن الثورة العرابية ، وعن شكاوى الفلاحين • ويجد القارىء هذه الوثائق مشارا اليها بأرقام محافظها وبتواريخها فى حواشى الكتاب •

٣ ـ **المصادر المباشرة** وهى تشتمل على المعلومات المأخوذة من الاخباريين كبار السن فى القرى • وتتصل هذه المعلومات بذكريات هؤلاء الاخباريين عن الانتخابات وسلوك كبار الملاك فى القرى فيما قبل عام ١٩٥٢• ولم اعتمد اعتمادا كبيرا على هذا النوع من المعلومات ، وانما اعتمدت عليه فقط فى حالة عدم وجود مصدر مباشر يخبرنا عن ظاهرة أو نمط معين من انماط السلوك الذى نجده هاما فيما يتعلق بتحقيق أهداف التحليل التاريخى •

ولقد قدمت المادة التاريخية فى ثلاثة فصول كونت الباب الثانى من الدراسة • وتسير هذه الفصول وفقا لترتيب مجموعة الفروض التى تسعى

الدراسة الى اختبارها • فيحاول الفصل السادس أن يكشف عن التركيب الاجتماعى لجماعات الصفوة فى السياق التاريخى والتغيرات التى يمكن أن تكون قد طرأت على هذا التركيب عبر المراحل التاريخية المختلفة • ويحاول الفصل السابع أن يتعرف على أشكال التفاعل التاريخية بين جماعات الصفوة القديمة والجديدة ، سواء أكانت تفاعلات أفقية أم تفاعلات رأسية ، وكذلك التغير الذى طرأ على هذه العلاقات خلال الفترات التاريخية المتعاقبة وارتباط ذلك بالتغير الذى طرأ على المجتمع ككل • ويتناول الفصل الثامن بعض المواقف التاريخية لجماعات الصفوة ، حيث يعالج بالتحديد مواقف جماعات الصفوة من الثورة العرابية ، ومن ثورة ١٩١٩ ، ومن قضية الاصلاح الزراعى عشية قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وردود أفعال الصفوة تجاه قانون الاصلاح الزراعى بعد صدوره • وهكذا غطت المادة التاريخية العناصر الاساسية التى تدور حولها فروض الدراسة • ولكن تجدر الاشارة الى أن التحقق من الفروض فى السياق التاريخى يتم بشكل جزئى مهما كانت المادة متوفرة • والسبب وراء ذلك : أن هذه المادة ـ مهما كان تفصيلها ـ لا تقدم صورة طبق الأصل للحياة كما عاشها الناس بالفعل •

(ب) المصدر الميدانى : كان لابد من اكمال الصورة التاريخية بأخرى آنية بحيث تظهر أمامنا صورة عامة دينامية لبناء الصفوة وتفاعلاتها فى الريف المصرى ولذلك فقد اكملت المادة الامبيريقية التاريخية بأخرى ميدانية• ولم يكن بالامكان دراسة قرى عديدة تمثل كل أنماط القرى القائمة ، فمثل هذه المحاولة لا تحقق أهداف الدراسة بقدر ما تقدم رؤية عامة سطحية عن القرى المختارة • ولذلك فقد حاولت أن أضع مجموعة من الشروط تتصل بالهدف المباشر للبحث ، بحيث يتم ـ بناء عليها ـ اختيار قريتين يمكن ان نعتبرهما ممثلتين للريف المصرى • ولقد حددت هذه الشروط على النحو التالى :

١ ـ أن تمثل القريتان النطاق الجغرافى لمصر بحيث تمثل احداهما الوجه البحرى والأخرى الوجه القبلى •

٢ ـ ألا تكون الملكيات فى القريتين مرتفعة ، بمعنى ألا تكون القريتان

من القرى التى طبق عليها قانون الاصلاح الزراعى الخاص بنزع الملكية ٠ والمنطق وراء ذلك أن القرى التى لم تطبق عليها قوانين الاصلاح هى النمط الشائع للقرى ، فلم يمس الاصلاح الزراعى الا حوالى ٥ر١٢ ٪ من الاراضى الزراعية ولم يستفد منه الا ٩ ٪ من سكان الريف حتى عام ١٩٧٠ ٠ (٤) وبنـــاء على ذلك فانه لم يطبق الا فى حـوالى ٦٨٦ قرية حيث بـلغ عـدد الجمعيات التعاونية الخاصة بالاصلاح الزراعى ٦٨٦ جمعية الى جانب ٦١ جمعية مشتركة تضم كل منها ١١ جمعية محلية (٥) ٠ غير أن الأمر لا يرتبط بفكرة النمط الشائع فقط ، وانما يرتبط بجوهر التفاعلات التى ظهرت بين جماعات الصفوة فقد كشفت الزيارات الاستطلاعية لبعض القرى التى كان بها شكل من أشكال « الاقطاع » (بالمعنى السياسى الذى انتشر بعد عام ١٩٥٢) أن الصراع بين جماعات الصفوة لم يظهر بشكل واضح ٠ فقد تركت العائلات التى كانت تمثل كبار ملاك القرى بمجرد تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى ، وفى حالة بقاء بعض العائلات فانها استمرت مهيمنة دون وجود معارضة حقيقية لها ٠ وفى كلا الحالين لم يظهر التفاعل بشكل واضح بين الصفوة المسيطرة والصفوة الصاعدة ٠ وعلى العكس من ذلك فقد ظهر هذا التفاعل بشكل واضح فى القرى التى بها ملكيات صغيرة ومتوسطة ، حيث تهيأت الفرصة للأفراد الذين ينتمون لطبقات أدنى للدخـول فى نطاق الممارسـة السياسية ، الامر الذى أدى الى وضوح التفاعل بين جماعات الصفوة القديمة والصفوة الجديدة ٠

٣ ـ أن تكون القريتان تقليديتين بمعنى الاعتماد الكلى على الزراعة دون وجود أنشطة تجارية وصناعية واضحة ٠ والهدف من وراء هذا الشرط هو محاولة التعرف على تأثير التغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى فى العقد الأخير على بناء القرية وعلى تغير تركيب الصفوة بها ٠

---

(٤) محمود عبد الفضيل ، **التحولات الاقتصادية والاجتماعية فى الريف (١٩٥٢ ـ ١٩٧٠)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ، ص ٢٠ ٠

(٥) سيد مرعى ، « الاصلاح الزراعى فى مصر » ، مقال فى كتاب **الأرض والفلاح على مر العصور** ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠٤ ٠

وفى ضوء هذه الشروط تمت زيادة مجموعة من القرى فى محافظات دمياط والغربية ، والمنوفية ، والمنيا ، والجيزة (بلغ عدد هذه القرى خمس عشرة قرية) ووقع الاختيار على قريتين : الأولى هى قرية بنى واللمس ـ مركز مغاغة ـ محافظة المنيا ، والثانية هى قرية سحيم ـ مركز السنطة ـ محافظة الغربية (٦) ٠

ولقد أجريت الدراسة الميدانية على فترتين بعد الزيارات الاستطلاعية التى تمت فى هاتين القريتين ضمن قرى أخرى فى محافظة أخرى ٠ الفترة الأولى هى شهرا أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٧٩ حيث اقتنصت الفرصة لمتابعة ميدانية لانتخابات المجلس المحلى بدءا من الدعاية للانتخاب وحتى اتمام الانتخاب نفسه ، بل حتى انتخاب رئيس ووكيل المجلس المحلى على مستوى القرى ٠ وقد كنت فى هذه الفترة أتردد على القريتين فاقضى مدة هنا ومدة هناك، الفترة الثانية وهى فترة الدراسة الميدانية المكثفة فقد تمت فى شهرى يوليو وأغسطس ١٩٨٠ ٠ ولقد كان الباحث يتردد على القريتين لفترات قصيرة بين هذين التاريخين ٠

ولقد قدمت المادة الامبيريقية الميدانية التى جمعت من القريتين فى الباب الثالث من هذه الدراسة ، وقد حوى ثلاثة فصول تعرض الأول (التاسع) منهم لتركيب جماعات الصفوة فى السياق المعاصر للريف المصرى ، وتناول الثانى (العاشر) التفاعلات الرأسية والأفقية بين جماعات الصفوة ، وتناول الثالث (الحادى عشر) التحول فى تركيب جماعات الصفوة وفى مواقفها حيث القى الضوء على درجة الاستمرار أو عدم الاستمرار فى تركيب جماعات الصفوة، وعلى درجة الاتساق أو عدم الاتساق فى مواقفها ٠

ثالثـا : التحديد الاجرائى للصفوة وأساليب جمع البيانات

كان على هذا البحث ـ فى ضوء الصياغة النظرية التى انطلق منها ـ

---

(٦) سوف أطلق على قرية بنى واللمس « القرية الأولى » وعلى قرية سحيم القرية الثانية فى التحليل الميدانى الذى يظهر فى الباب الثالث من هذه الدراسة ٠

أن يبحث عن تعريف للصفوة القديمة والصفوة الجديدة يختلف عن التعريف الشائع فى النظريات الاخرى والذى يفرق بينهما بناء على ثنائية التقليد والتحديث • وقد اقترحت تعريفا للصفوة القديمة والصفوة الجديدة يقوم على درجة السلطة والتأثير وارتباطهما بالنفوذ الاقتصادى عند الصفوة القديمة، ومحاولة السعى الى اكتساب مصادر السلطة والتأثير من موقف اقتصادى أضعف عند الصفوة الجديدة (٧) • وفى سعينا نحو التحديد الاجرائى للصفوة الجديدة لم يكن من الممكن الاعتماد على الاجراءات المنهجية السابقة والتى تنحصر فى ثلاثة اجراءات أساسية نبعت من الاتجاهات النظرية المختلفة لدراسة بناء القوة وجماعات الصفوة وهى :

١ ـ البحث عن أشهر الافراد فى المجتمع وأكثرهم تأثيرا من خلال مقياس سوسيومترى • وقد ارتبط هذا الاجراء بدراسة فلويد هنتر Hunter عن بناء القوة فى مجتمع محلى •

٢ ـ فحص عدد من المسائل والقرارات التى تطرح على المسرح السياسى والتعرف على الافراد ـ والجماعات ـ الذين يؤثرون على صياغة هذه المسائل والقرارات والافراد والجماعات التى لا تمارس مثل هذا التأثير • وقد ارتبط هذا الاجراء بالاتجاه التعددى فى دراسة بناء القوة والذى تزعمه روبرت دال Dahl (انظر الفصل الأول) •

٣ ـ التعرف على المراكز الوظيفية ذات الثقل السياسى والاجتماعى والتعرف على درجة التأثير التى يمارسها أصحاب هذه المراكز الوظيفية • وقد استخدم هذا الاجراء كل من رايت ميلز ودومهوف (انظر الفصل الأول) •

وقد تعرضت كل هذه الاجراءات للنقد ، فليس من الضرورى أن يحظى الشخص المشهور بالقوة ، من حيث أن الأساس الذى تقوم عليه الشهرة يختلف عن الأساس الذى تقوم عليه القوة • أما القرارات والمسائل فانها يمكن أن تحجب عن الظهور على المسرح السياسى أصلا ، وذلك من خلال أفراد يتملكون

---

(٧) تم تقديم التعريف المقترح فى الفصل الخامس من هذه الدراسة •

القوة • أما بالنسبة للمراكز الوظيفية ، فان القوة ـ خاصة فى المجتمع الريفى فى الدول المتخلفة ـ لا ترتبط بالمراكز الوظيفية خاصة وأن الذين يشغلون هذه المراكز قد لا ينتمون الى القرية •

وهنا كان لا بد من البحث عن اجراء يستفيد من كل هذه الاجـــراءات والانتقادات التى وجهت اليها ، ويقدم فى نفس الوقت أساسا جديدا لفهم بناء القوة وتركيب الصفوة فى المجتمع الريفى المصرى • ويمكن أن نسمى الاجراء الذى اتبعته هذه الدراسة بأنه اجراء « موقفى » يقوم على معايشة حياة القرية ولمس مواقف الحياة اليومية ، والتعرف على أهم المسائل والقرارات التى تطرح من خلال الممارسة الرسمية ، والمسائل والقرارات التى تحجب عن الظهور ، والافراد الذين يهتمون بهذه المسائل والقرارات ، والمواقف التى يتخذونها بشأنها ، والمشكلات التى تظهر فى الحياة اليومية والافراد الذين ينخرطون فى هذه المشكلات ويسعون الى حلها والدور الذى يلعبه هؤلاء بين الفلاحين وبين السلطات الرسمية ، وعلاقة كل ذلك بالمراكز الوظيفية التى يحتلونها أو بسلطتهم التى تستمد من الاطر الثقافية القائمة • ولقد أمكن من خلال هذه المعايشة التعرف على أصحاب مواقع السلطة والتأثير من الصفوة القديمة ، وأصحاب المواقف المعارضة الذين يسعون نحو اكتساب مواقع السلطة والتأثير ، وهم من الصفوة الجديدة • وبهذا استطعت أن أحدد أعضاء كل من الصفوة القديمة والصفوة الجديدة بالاسم •

ووفقا لهذا التحديد الاجرائى الموقفى ، لم يعتمد الباحث على أداة واحدة لجمع البيانات ، وانما اعتمد على مجموعة متكاملة من الادوات قدمت كل منها نوعية من البيانات تكاملت فى النهاية لتحقيق الهدف المنشود من وراء الدراسة الميدانية • ونرتب هذه الادوات فيما يلى وفقا لأهميتها ودرجة الاعتماد عليها:

١ ـ **الملاحظة** : وقد أفادت بشكل مباشر فى التحديد الاجرائى لجماعات الصفوة حيث أمكن من خلالها التعرف على المشكلات اليومية التى تظهر فى حياة القرية وأسلوب حل هذه المشكلات • كما أمكن من خلال مشاهدة مناقشات جماعية التعرف على الكثير من المسائل التى طرحت أو تطرح على المسرح السياسى ومواقف الاطراف المختلفة منها • كما استخدمت الملاحظة فى متابعة

انتخابات المجالس المحلية فى القريتين حيث اصطحبت المرشحين فى حملاتهم الانتخابية فى القرى المجاورة ، وحيث حضرت كثيرا من المناقشات الجماعية المرتبطة بالانتخابات • واستخدمت الملاحظة طوال مدة الدراسة الميدانية حيث كنت أسجل كل الاقوال العابرة التى أسمعها وأساليب التخاطب والتعامل التى أشاهدها ـ كما أننى حضرت أربع جلسات عرفية فى القريتين كملاحظ • ولم تكن الملاحظة عشوائية ، بل كانت موجهة بدليل للملاحظة •

٢ ـ **المقابلات المفتوحة** : وقد تمت بعد تحديد من هم أعضاء الصفوة القديمة والجديدة • وقد أجريت مقابلات مفتوحة مع معظم أفراد الصفوة القديمة والجديدة وعددهم ٦١ فردا فى القريتين • واتجهت المقابلات المفتوحة نحو التعرف على التاريخ السياسى لعضو الصفوة ، ونوعية الممارسة التى ينشغل بها ، ودوره فى الممارسة السياسية الرسمية والشعبية ، ومواقفه بشأن بعض القرارات والقضايا فى القرية ، ودرجة ارتباطه بأعضاء الصفوة الآخرين ، وتصور عضو الصفوة عن دوره ، وتصور عضو كل صفوة عن أعضاء الصفوة الأخرى ، وأخيرا تصور عضو الصفوة عن المشكلات التى تعانى منها القرية والمجتمع بعامة واقتراحاته لحلها • وقد تمت المقابلات فى ضوء أهداف الدراسة وفروضها ، ولذلك فلم تكن عشوائية وانما كانت موحدة العناصر من خلال دليل للمقابلة •

٣ ـ دراسة الحالة : وقد استهدف دراسة الحالة التعرف على درجة الاتساق فى مواقف الصفوة الجديدة ودرجة استمرارية هذه المواقف • ولذلك فقد تخيرت أربع حالات من أعضاء الصفوة الجديدة بكل قرية وجمعت عنهم بيانات تفصيلية خاصة بتاريخهم السياسى ، ومواقفهم المختلفة خلال الممارسة السياسية الرسمية ، وأنواع التحالفات والصراعات التى يدخلون فيها • ولم تجمع البيانات الخاصة بكل حالة من صاحبها نفسه فقط ، وانما من خلال مصادر معلومات أخرى قدمها أفراد عاديون أو أفراد من الصفوة يرتبطون بالحالة موضوع الدراسة أو يعارضون مواقفها •

٤ ـ **الاخباريون** : وقد استقيت منهم بيانات عن نوعية المشكلات اليومية التى لم تتح لى الفرصة لمشاهدتها ، وعن الأساليب التى تتبع فى حل

المشكلات وما يمكن أن يكون قد طرأ من تغير على هذه الأساليب • فضلا عن أننى قد أخذت من الاخباريين ـ وهم من غير أعضاء الصفوة ـ تصوراتهم عن الصفوة وعن دورها •

٥ ـ **صحيفة البيانات الأساسية** : وقد جمعت من خلالها بيانات أساسية عن أعضاء الصفوة خاصة بالمهنة ، والمستوى التعليمى ، والحيازة ، والممتلكات ، والانشطة الاقتصادية ، ومستويات الاستهلاك ، وحظهم بالتقريب •

٦ ـ **السجلات الرسمية** : وتنحصر فى سجلات الحيازة حيث أخذت منها توزيع فئات الحيازة داخل القريتين ، ومحاضر جلسات المجلس المحلى حيث حللت مضمونها • واشتملت هذه المحاضر على ٢٢ جلسة فى كل مجلس محلى تتبع له القرية • وقد غطت هذه الجلسات الفترة من ١٥ / ١١ / ١٩٧٩ الى ٣٠ / ٨ /٨٠ فى المجلس الذى تتبع له القرية الاولى ، والفترة من ١٣ /١١ / ١٩٧٩ الى ٢ / ٩ / ١٩٨٠ فى المجلس الذى تتبع له القرية الثانية •

رابعا : أساليب التحليل والتفسير

بالرغم من أن التحليل الذى قدم فى هذه الدراسة هو تحليل كيفى فى المحل الأول ، الا أن ذلك لم يغننا عن التحليل الكمى للبيانات الأساسية التى جمعت من أعضاء الصفوة ، فضلا عن تحليل مضمون قرارات المجلسين المحليين اللذين تتبع لهما القريتان • وبهذا فان الدراسة قد جمعت بين أسلوب التحليل الكيفى وأسلوب التحليل الكمى بحيث تكامل الاسلوبان لتقديم البيانات الامبيريقية فى ضوء فروض الدراسة • ولم تعرض البيانات الكمية منفصلة عن البيانات الكيفية ، وانما كانت القاعدة هى ملاءمة البيانات للموقع الذى تعرض فيه • فقد يبدأ التحليل كيفيا ثم تدعم البيانات الكيفية بأخرى كمية، وقد يبدأ التحليل كميا ثم تدعم البيانات الكمية بأخرى كيفية ، وهكذا • كما جمعت الدراسة بين استخدام المعطيات التاريخية والمعطيات الميدانية للتحقق من فروضها الأساسية • ولم يظهر التحليل التاريخى منفصلا عن التحليل الميدانى ، وانما سارت الفصول التى عرضت فيها المادة التاريخية وكذلك

الفصول التى عرضت فيها المادة الميدانية بنفس الطريقة ونفس العناوين تقريبا مع اختلاف الاشارة الى السياق التاريخى أو السياق المعاصر • ولقد كانت فروض الدراسة والنموذج النظرى الذى اشتقت منه هى المرجع الاساسى الذى يحدد أسلوب التحليل هنا وهناك •

أما بالنسبة للتفسير ، فقد جمعت الدراسة بين التفسير الكلى والتفسير الجزئى • فاذا كانت هذه الدراسة قد انطلقت من فكرة أساسية مؤداها أن تركيب الصفوة وتفاعلاتها فى الريف لا ينفصل عن السياق الكلى للمجتمع ، فان تفسير البيانات الامبيريقية ـ سواء كانت تاريخية أو ميدانية ـ كان يرتبط دائما بالقاء الضوء على ظروف المجتمع بعامة وعلى مستويات القوة التى تعلو عن مستوى القرية • وكان النموذج النظرى الذى تطور فى هذه الدراسة والفروض المشتقة منه هما المعين فى هذا التفسير الكلى والجزئى • فقد اتجهت المادة الامبيريقية نحو التحقق من الفروض بشكل مباشر ، ولكن تفسير هذه المادة كان يوجهنا دائما الى الرؤية النظرية الافتراضية المطروحة فى الدراسة • وهكذا ، أدى النموذج النظرى دوره كاداة عقلية مكنتنا من ربط الجزء بالكل من خلال واقع امبيريقى •

ولم يتجه التفسير نحو ابراز عامل معين أو التركيز على متغيرات دون الأخرى ، وانما اتجه نحو ابراز العلاقات الجدلية بين كافة المتغيرات الاقتصادية والثقافية بحيث ظهر فى النهاية كيف تتكاتف كل هذه المتغيرات جميعا فى تدعيم موقف الصفوة القديمة ، وفى تحقيق قدر من الاستمرارية للبناء الاجتماعى وهى استمرارية ترتبط ولا شك باستمرارية الصفوة المسيطرة واستمرارية المحافظة على مصالحها فى الوقت الذى تجد فيه الصفوة الجديدة صعوبة فى أداء دورها واستمراريته •